ظاهرة الغلاء في العراق ومصر من خلال كتاب نهاية الارب في فنون الادب للنويري (اسبابها – وسبل معالجتها)

أ.م.د.سماهر محي موسى

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

تُعد الكوارث الطبيعية والبشرية أهم الأسباب الرئيسة في ظاهرة الغلاء وقلة المواد التموينية فضلاً عن أنها تساهم في إفشاء الإمراض والأوبئة بين الناس ونتيجة ذلك تصاب قوى الأيدي العاملة المنتجة المتوقفة عن الإنتاج وعلى رأسها الزراعة التي تعد العمود الفقري في اقتصاد الشعوب والأمم واخترنا موضوع بحثنا في بلدين من أرض العرب المسلمين وهما مصر والعراق وذلك لأنهما يعتمدان في ريهما على أنهار دائمة الجريان الزيادة او النقصان في مياههما على المعدل العام تؤدي الى كوارث ونتيجة ذلك تظهر لنا ظاهرة الغلاء والتي تناولها النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب ، وبين موقف الحكام والولاة من خلال وضع الحلول اللازمة للحد من هذه الظاهرة بتحديد الأسعار، ومراقبة الأسواق، أضافة الى معالجة تأثير الظواهر الطبيعية على ذلك من فيضان وجفاف للأنهار والأوبئة الصحية على ذلك حتى تتمكن عجلة الحياة من السير .

The phenomenon of high prices in Iraq and Egypt through the Book of al–Nuwayris Nihayat al– arab fi funun al– adab (The Aim of Intelligent in the of letters) its reasons and ways of solution

Natural and human disasters are the main causes of the phenomenon of expensiveness and high prices and the scarcity of foodstuffs.Furthermore these issues contribute to the propagation of diseases and epidemics among people.As a result, the productive labour force may be affected and influenced, which are basically ceased from production in the first place, particularly the field of agriculture which represents the backbone of the economy of nations.

The subject of this research adopts two Arab Muslim counties,namely Egypt and Iraq, since they are totally dependent on their irrigation through rivers of permanent flux and flow.Any increase or decreae in these rivers water from the overall rate leads to disasters. However, the result would make the expensiveness and high prices phenomenon quite evident, as addressed by al–Nuwyris Nihayat al–arab fi funun al–adab (The Aim of the Intelligent in the Art of letters) .Additionall, in his book ,al– Nuwyri explained positions of the rulers and the governors and set the necessary solution to reduce this phenomenon by fixing prices and controlling markets or in some cases intervening directly in several ways for fear of revolutions or disobedience as a result of any kind of such action.

المقدمة

عَدَّ النويري ظاهرة الغلاء من الظواهر الخطيرة ، لما لها من أثار اقتصادية أثرت بشكل كبير على الأوضاع العامة في الدولة العربية الإسلامية ،لاسيما في مصر والعراق،إذ أدت الى عدم استقرار السوق بارتفاع أسعار المواد الغذائية الاساسية ، ويرجع ذلك الى تتابع سنوات القحط والجفاف، وقد نتج عن ذلك قلة العرض في الاسواق من البضائع ،وانخفاض حركة البيع والشراء ، أذ عجز الناس عن شراء وتوفير حاجاتهم الأساسية بسبب الغلاء ، والتي ظهرت من خلال الحروب والازمات التي شهدتها تلك البلدان. لهذا أصبحت ظاهرة الغلاء تشكل خطراً يهدد حياة وأمن وأستقرار المجتمع بأكمله ،لذا أقتضت الحاجة الى ايجاد الحلول لمعالجة هذه المشكلة ورسم سياسة للحد من ارتفاع الأسعار ومراقبة الأسواق .

وهنا يظهر جلياً أهمية رسم السياسة الاقتصادية للبلدان ووضع الخطط اللازمة لعلاج حالات القحط أو الفيضانات وتفشي العديد من الاوبئة والامراض لمواجهة جميع الازمات الاقتصادية التي تنجم عن الظروف سواء الطبيعية أو البشرية. ويبدو أن الكثير من الحكام وأصحاب الشأن كانوا قد أيقنوا بأهمية ذلك الأمر وحاولوا جاهدين وضع الخطط اللازمة لها .

اولاً: النويري – سيرته هو أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي النويري[١] .

مولده ونشأته :

ولد سنة ٦٧٧هـ في النويرة [٢] ، وهي قرية من قرى بني سويف بمصر [٣] ،وقد اكتسب شهرته نسبة الى هذه القرية التي هي موطن اجداده وعلقت نويرة باسم الاب والابن ولم تستطع ان تمحوها صلات اخرى ببلدان اخرى، ثم سافر الى قرية قوص[٤] وتربى فيها تربية علمية واسعة أذ أصبحت من أعظم مراكز العلم في تلك العصور ، فدرس العلوم الدينية (القران الكريم والحديث والاصول والفقه) وغيرها من العلوم وسمع الحديث ورواه عن شيوخ ومحدثين منهم موسى بن علي بن ابي طالب ، يعقوب بن احمد الصابوني ، واحمد الحجاز ، وزينب بنت منجى [٥] . وكان ملماً بمختلف الفنون الأدبية فجمع بين العلوم الدينية والأدبية وفاق اقرانه في ذلك وامتاز بينهم بميزته خاصة ، كما امتاز بينهم في مهنة الانشاء اذا شغل وظيفة كاتب في ديوان الانشاء بمصر وهي وظيفة لها اهميتها في ذلك العصر لايليها الا من يتمتع بمواصفات معينة من الكفاءة والمقدرة الفائقة من العلم والمعرفة في اللغة والأدب والتاريخ والذي ساعده في ذلك والده أذ كان كاتب في مختلف دواوين الحكومة المملوكية [٦]. وكذلك تميز بقربه من السلطان الناصر قلاوون(٦٨٤-٧٤١ه) اثناء اداء اعماله بنظاره الجيش[٧] ،فمن المعتاد ان تكون العلاقة وديه لكون والده ضابطا عند السلطان وكذلك الصلات الطيبة مع الشخصيات البارزة في البلاط السلطاني ، ومنهم ابن عبادة[٨] الذي من على النويري وقربه من السلطان لهذا اوكله السلطان في بعض الامور وتقلب في الخدمة الديوانية [٩] ، الى ان تفوض اليه الجيش بطرابلس الشام ، وماهي الا مدة قليلة حتى نراه يعينه في نظارة الدقهلية والمرتاحية. [١٠] .ولكنه اعتزل العمل في خدمة السلطان عام ٧١٥ه ، وعمره إنذاك ٣٨ سنة ،بسبب المكانة المميزة التي حظي بها من قبل السلطان وهذا الامر اثار حفيظة ابن عبادة فوشى به فاعتزل العمل ، واشتغل بنسخ صحيح البخاري فيكتبه بخطه المنسوب اليه ، فكتبه ثماني مرات ، وباع كل نسخة منه بألف درهم [١١] ، وظل يمارس مهنة الوراقة ، وهذه الممارسة لهذه المهنة قد زادت وصقلت من علومه ومعارفه الشيء الكثير سواء في كتب الحديث النبوي كما في نسخه البخاري او غيره من الكتب .

كما أنه واظب على المطالعة العامة لمختلف العلوم استعداداً لتأليف كتابه نهاية الارب سنتين أثنتين ، وبعد أن تيقن أنه جاهز – من الناحية العلمية – لتأليف كتابه- بدأ ذلك في شهر جمادى الثانية سنة ٧٢١ه، وأختتم الجزء الاول منه في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢١ه ، أي في بحر ستة أشهر[١٢] . ثم باشر مهمة التأليف بسرعة أكثر من الجزء الاول لينتهي من تأليف الأجزاء الثلاثين كلها في بحر ١٢ سنة ، أي بكتابة جزءين ونصف جزء في السنة الواحدة تقريباً. وأستمر في تأليف نهاية الأرب الى نهاية شهر شعبان سنة ٧٣٣ه حين

أكمل الجزء الثلاثين ثم يدخل شهر رمضان من عام ٧٣٣ه[١٣]، فوافتهُ المنية في الحادي عشر من نفس الشهر في القاهرة، وسبب وفاته حصل له وجع في إطراف أصابع يديه [١٤]، ولابد هنا أن ننوه ان ذلك قد لايكون السبب الرئيس في وفاته فالوجع في أطراف الأصابع بحد ذاته ليكون وجعاً مميتاً؛ بقدر ما قد يكون هناك أسباب أخرى من أمراض القلب أو الإجهاد الكبير أو غيره من الأمراض مما لا يعرف سبب ذلك والله أعلم.

موارده في كتاب النهاية:

فقد اعتمد النويري في تأليفه النهاية على عشرات الكتب المهمة في مختلف العلوم والفنون نقل مقتبسات في مختلف الابواب من كتابه، وكذلك لخص واختصر منها عدداً ملموساً[١٥].ووضع النويري لموسوعته خطة منسقة ومنهجاً دقيقاً لايحيد عنه ولا يزيغ شاملاً العلوم والفنون والموضوعات الاخرى فوزع كتابه على خمسة فنون وهي(السماء والانسان والحيوان والنبات والتاريخ)، وكل فن على خمسة اقسام، وكل قسم الى ابواب، وأن دعت الحاجة قسم كل باب الى فصول، وأحياناً كان يذيل باباً خاصاً بعينه لمعلومات لم تكن لتأتي ضمن مواد ذلك الباب ، وعلى هذا فان الكتاب شمل على خمسة فنون و(٢٥)قسما و(١٣٩) باباً واذا أضفنا اليه الأبواب الأربعة من تذييل القسم الثالث من الفن الخامس يصبح عدد الأبواب (١٤٣) بابًا و(٢٧) فصلا مع الذيلين [١٦]،وهو بذلك يكون اشبه بدائرة المعارف لما وصل اليه العلم عند العرب في عصره .

ثانيًا : اسباب ظاهرة الغلاء

إن العوامل المحفزة في حدوث ظاهرة الغلاء مردها الى عاملين بالدرجة الاولى هما العوامل البشرية (السياسية كالفتن والثورات وما اليها من أمور أخرى)، والعوامل الطبيعة كالجفاف والسيول والجراد والعواصف وغيرها .

١ ـ العوامل البشرية:

يتأثر المجتمع بالاحوال السياسية السائدة في البلاد ، فالدولة القوية والحريصة تمتلك زمام أمرها وتعتمد على أصحاب الخبرة والكفاءات في أداراة شؤون البلاد وأحتواء المشاكل من القوت ، مما يؤدي أشاعه الأمن والاستقرار في المجتمع.

إن تدهور الاوضاع الامنية يؤدي الى سوء الأوضاع الاقتصادية فتؤدي الى صراعات داخلية وأزمات أدارية حادة وهذا ماشار اليه النويري عند ارتفاع الأسعار في بغداد عام ٣٠٨ه عندما ضمن الوزير حامد بن العباس أعمال خراج السواد والاحواز واصبهان ، وقدُ عدّ محتكراً ومالكاً لها وأدى ذلك الى ارتفاع الاسعار وازدياد مظاهر الشغب التي كان من محصلتها ضياع هيبة الامن من جراء ذلك والنص الاتي يوضح ذلك " تحرك السعر ببغداد فثارت العامة والخاصة لذلك، وأستغاثوا وكسروا المنابر وكان حامد يخزن الغلال ، وكذلك غيره من القواد ، فأمر المقتدر باحضار حامد فحضر من الاحواز ، فعاد الناس الى شغبهم ، فانفذ حامد جماعة لمنعهم ، فقاتلهم العامة ، وأحرقوا الجسرين وأخرجوا المحبسين من السجن ونهبوا دار صاحب الشرطة " [١٧] .

لم يكن للغلاء اثاره وانعكاساته على الواقع الاقتصادي فحسب وانما انعكاساته على الواقع الاجتماعي وذلك من خلال ماقام به الناس من اعمال تخريب وسلب ونهب بسبب تضمين الوزير حامد بن العباس لخراج

السواد واحتكاره لكميات كبيرة من القمح ، وقد بين الوزير علي بن عيسى الجراح للخليفة المقتدر ارتفاع الاسعار واضطراب الاوضاع بقوله " ان سبب غلاء الاسعار انما هو ضمان حامد لانه منع بيع الغلال في البيادر وخزنها"[١٨] ، ولحل هذه الازمة اتخذ الخليفة المقتدر اجراءات استثنائية فتدخل بعد سلسلة من الاضطرابات الى " فتح مخازن الحنطة والشعير التي خزنها حامد ووالدة الخليفة المقتدر وغيرهما ، وبيع مافيها فرخصت الاسعار وسكنت الناس"[١٩] ، ولجأ الى التسعير وقد سعر الغلال بنقصان خمسة دنانير في الكر[٢٠] الواحد ودعا التجار والباعة الى الالتزام بهذه التسعيرة واوكل الى المحتسب مراقبة حالة السوق، وأضحى سعر الكر المعدل خمسين ديناراً ، وأخيراً امر بفسخ ضمان حامد وأخماد الفتنة [٢١] .

يتبين هنا موقف الدولة في محاولتها للحد من ظاهرة الغلاء من خلال تحديد الاسعار للبضائع الاساسية، لكن مثل هذا الاجراء لا يتم الا ضمن الحدود التي تتدخل الدولة فيها مع رجال السلطة نفسها ؛ خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار هنا طبيعة الاوضاع السياسية التي تعيشها الخلافة العباسية في هذه المرحلة في بداية الضعف السياسي وسيطرة القادة الاتراك على مقاليد الامور ، لذا هذا الاجراء يتوقف نجاحه أو فشله على ذلك أضافة الى تمادي الامر الى أبعد من ذلك ، ووصوله الى كبار التجار من خلال أحتكارهم للبضائع باغلاق مخازنهم بوجه قرار الدولة وبوجه العامة من الناس أمام رغباتهم بارتفاع أسعار بضائعهم وتفشي ظاهرة الغلاء وأرتفاع الاسعار بقدر أكبر من السابق مما تظطر الدولة عند ذاك الى التراجع عن قرارها [٢٢] .

ومما يعضد ذلك ما أثر عن الصراع العسكري الذي دار بين القادة في عهد امرة الامراء (٣٢٤-٣٣٤ه) لفرض سيطرتهم على البلاد ، وما رافقه من تخريب للاراضي الزراعية ولشبكات الري في بغداد اسهمت في انقطاع المواد الغذائية لاسيما في عام(٣٢٩ ه) " فاشتد الغلاء والوباء وكثر الموت ...ورخص العقار والاثاث ببغداد حتى بيع ماثمنه دينار بدرهم"[٢٣] ومقابل ذلك أرتفع سعر الكر الواحد من الدقيق "مائة وثلاثين دينار "[٢٤] .

اشار النويري في سنة ٣٣٣ه الى حالة التذبذب والغلاء في اسعار الحنطة في بغداد لاسيما في ايام الخليفة المتقي لله(٣٢٩-٣٣٣ه) " وكان في أيامه غلاء وشدة حتى بيع كر الحنطة بمائتين وعشر دنانير، وخرج عدة من الخدم من قصر الخلافة بالرصافة ينادون الجوع الجوع" [٢٥]. وشهدت سنة (٣٣٤هـ)سيطرة البويهيين على العراق وقد عانت الخلافة العباسية من تدهور الاوضاع الاقتصادية في هذه المدة بسبب سيطرة البويهيين على خزينة الدولة وكذلك سيطرتهم على المزارع والغلات أذ ادى ذلك الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية ، وهذا يتضح جليا في الحرب التي جرت بين معز الدولة في الجانب الغربي من بغداد وبين ناصر الدولة متضمن الموصل وماحولها شطريها الشرقي والغربي[٢٦] ، ففي الجانب الشرقي كانت الاسعار أعتيادية "لورود الزوارق من الموصل بالدقيق"[٢٧] ، بينما شهد الجانب الغربي ارتفاع كبيراً في الاسعار بسبب تسلط الجند على غلات الناس [٢٨]، " فأنهم كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها الى معسكرهم"[٢٩] . وكذلك حاول ناصر الدولة الحمداني سنة (٣٣٠ هـ) القضاء على هذا النقود المزيفة فسك نقوداً جديدة على وزن جيد، وهنا نلاحظ أن الصيارفة يميلون إلى هذا الشيء لأنهم يحققون فيه أرباحاً بسبب فرق العملة[٣٠]. وأشار المقريزي ان

الدراهم تدهورت في العصر البويهي بإضافة نسبة عالية من الخليط الرخيص، بحيث أصبح سعر صرف الدينار سنة (٣٨٩ هـ) يساوي (١٥٠) درهماً، وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت بالفترات السابقة[٣١].

هكذا تعرضت بغداد الى ازمات الغلاء المتكررة بسبب الصراع العسكري وسوء تدبير الحكام الذي ادى الى تفكك الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان للصراعات السياسية أثر واضح على ظاهرة الغلاء وارتفاع الأسعار لاسيما في سنة ٣٦٣ه بعد وقوع الفتنة بين الأتراك والديلم أذ أوعز عضد الدولة بمنع الميرة عن بغداد من أجل تضيق الخناق على الأتراك مما أدى هذا الى غلاء الأسعار ببغداد[٣٢].

وفي سنة(٣٨٣ه)أشتد الغلاء " وبيعت الكارة[٣٣] الدقيق بمائتين وستين درهم والكر[٣٤] الحنطة سبعة الاف وستمائة درهم"[٣٥]، في حين ذكر ابن الاثير[٣٦] بلغ كر الحنطة أربعة آلاف درهم. يبدو أن النويري بالغ في ارتفاع سعر كر الحنطة وحاول أن يضفي على أسلوبه عامل التشويق فعلا أشتد الغلاء في هذه السنة في العراق وأحدثت جماعة ولقي الناس حتفهم من الجوع وتظاهر الناس ومنعوا قيام صلاة الجمعة على حد قول ابن الاثير ولكن لم يصل كر الحنطة الى هذا السعر ؛ وأنعدمت الاقوات بارتفاع الاسعار في سنة(٤٤٩ه)اذ بلغ " سعر الكاره الدقيق السميذ بثلاثة عشر دينار والكارة الشعير والذرة بثمانية دنانير" [٣٧] . حتى بلغ الامر بهم عجزهم عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة [٣٨] . ولابد أن هذا العجز عن دفن الموتى هو نتيجة لتردي الوضع الاقتصادي بحد ذاته وأنقطاع رغيف العيش مما أدى الى كثرة الموتى حتى أصبحوا عاجزين مع هذا الوضع السيء عن دفن موتاهم.

والواقع ان العراق تعرض الى ازمات كثيرة ومنها الغلاء ولكن معظمها سببها الصراعات والخلافات السياسية لاسيما ماحدث سنة ٥٢٠ه بين الخليفة المسترشد بالله(٤٨٥ه-٥٢٩ه) وبين السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقي وكذلك مايمر به العراق من وهن وضعف بسبب والي الحلة دبيس بن صدقة(٤٦٣ه-٥٢٩ه) فاشتد الغلاء "لعدم الغلات والاقوات" [٣٩]، وغلت الاسعار ايضا في سنة ٥٤٣ه بسبب الخلاف بين السلطان مسعود وجماعة من الامراء ودخلوا بغداد وحدث القتل والسلب فيها [٤٠].

اما في مصر فقد زادت الاضطرابات السياسية التي لها تأثير سلبي على استقرار البلاد وتسبب أزمة أقتصادية وارتفاع الاسعار لاسيما بعد وفاة كافور الاخشيدي[٤١] صاحب مصر وبلاد الشام سنة ٣٥٦ه عندما وقعت حروب كثيرة بين الامراء والجند اذ أدى الى " غلاء شديد وفناء عظيم" [٤٢] .

نتيجة لسوء الأوضاع السائدة في مصر للمدة من (٤٥٠ه-٤٦٦ه) تدهور الوضع الأمني وصراعات داخلية وأزمات أدارية حادة اذ تولى في هذه الفترة مايقارب عن أربعة وخمسون وزيراً واثنان وأربعون قاضياً[٤٣] ، لم يتمكن بعضهم من مزاولة وظائفه سوى أيام معدودة وهذا يعكس مدى ضعف مركز الدولة وضعف الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي كان عاجزاً عن تدبير الأمور ، وسقوط صقلية ،وخروج المغرب عن سلطته ،وخلعت الحجاز عن طاعته سنة ٤٦٢ه ، وازدياد قوة السلاجقة اذ تسير الأوضاع من سيء الى أسوء[٤٤]، كل هذه العوامل ساهمت بما يعرف بالشدة العظمى التي استمرت سبع سنوات متتالية في مصر (٤٥٧ه-٤٦٥ه) وشبهت بسني يوسف (عليه السلام) لاسيما عام ٤٦٢ه بيع " رغيف الخبز باربعة عشر ديناراً أو

درهما وبيع الاردب بمائتي دينار" [٤٥]، لم يكن هذا الغلاء بسبب نقص النيل وأنما كان لاختلاف الكلمة الاجناد وتغلب المنقلبين على الأعمال [٤٦]، وكذلك انعدام الامن واندلاع الحروب بين الجند فصارت اراضي الناحية بائرة لم تزرع لعدم توفر الايدي العاملة من الرجال فكان الجندي يخرج بنفسه هو وجماعته يخرجون ويزرعون في البلاد لعدم وجود الفلاحين [٤٧] ، بسبب هجرتهم من مصر الى العراق والشام هربا من الجوع والفتنة وعدم توفر القوت وغلاء الاسعار عام ٤٦١ه [٤٨] .ومما يعكس سوء الاوضاع السياسية في مصر وأنعكاس ذلك على الاوضاع الاقتصادية بارتفاع الاسعار والغلاء الفاحش في القوت اليومي لعامة الناس ؛ ماجرى للخليفة نفسه اذ نهبت جواهر قصر الخليفة وتحفه فجردوا الخليفة المستنصر واصبح لايملك سوء سجادته التي يجلس عليها ، وكان يستعير من صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركب عليها[٤٩] ، ويعبر المؤرخون عن ذلك بأنه لم "يبق في مصر دابة تمشي على اربع سوى حمار يركبه الخليفة المستنصر"[٥٠] بعد ان كان لديه عشرة الاف مابين فرس وجمل ودابة[٥١] .

والى جانب ذلك انهارت القوة الشرائية للعملة ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية ، حتى أن حارة بالفسطاط بيعت بطبق خبز ،كل رغيف منه بمنزل ، فعرفت لذلك بحارة الطبق[٥٢].

نستنتج مما تقدم عجز النظام السياسي القائم حينذاك عن ايجاد حل للتناقضات بسبب ضعف السلطة المركزية والفتن والمنازعات وتزايد نفوذ السلطة العسكرية ؛ امام عجز وضعف هيكليتها الاقتصادية .

٢- العوامل الطبيعية

من العوامل الطبيعة التي لها تأثير سلبي على اقتصاد البلاد هي ارتفاع أو انخفاض مناسيب الانهار، اذ عند ارتفاع مناسيب الانهار تؤدي الى تدمير مشاريع الري وأغراق الدور والبنايات وأتلاف الممتلكات الزراعية، وعند انخفاض مناسيب الأنهار يحدث الجفاف ويحدث الغلاء في كلا الحالتين يؤدي الى ازمات اقتصادية عديدة وبما ان في العراق فيه نهري دجلة والفرات وفي مصر نهر النيل والذي هو محمور الدراسة سنطلع على مدى تأثير هذه الانهار على ظاهرة الغلاء ، اذ تعتمد جميع اراضي مصر في أرواء اراضيها على نهر النيل "اذ وفى النيل ستة عشر ذراعاً- وهي قانون الريّ-فرح عظيم"[٥٣] .اذ كانت جميع اراضي مصر تروي في ست عشر ذراعاً غامرها وعامرها لخبرتهم في بناء الجسور وتشيد القناطر والخلجان[٥٤] ،فمتى قصر النيل عن هذا المقدار"غلت الاسعار" [٥٥]. فمع كل زيادة مفرطة او نقصان لمياه النيل تحدث ازمة اقتصادية وتسبب غلاء للاسعار وتتفاوت ظاهرة الغلاء في حدتها فمنها ماكان شديداً أستفحل امرها سنوات متعدده كما هو الحال في الازمة الاقتصادية عندما نقص ماء نهر النيل فبلغ اثنى عشر ذراعاً سبب هذا الانخفاض الى "غلاء شديد وفناء عظيم "[٥٦] وفي سنة ٣٥٦ه وزاد في هذه الحدة المشاكل السياسية التي حدثت بعد وفاة كافور الاخشيدي[٥٧] .

واستمر أنخفاض مياه نهر النيل في السنوات (٤٤٤ه و٤٤٧ و٤٥٧-٤٦٤ه) فشهدت مصر أسو ازمة أقتصادية مرت بها في العصر الاسلامي حيث نزع السعر وتزايد الغلاء واعقبه الوباء حتى تعطلت الاراضي عن الزراعة واستولى الجوع على الناس لعدم وجود الاقوات حتى " أن الواحد كان يموت في البيت فيموت في

بقية اليوم او الليلة كل مابقي منهم " [٥٨] الامر الذي سبب عجزاً عن مواراة الاموات ، لذا صار الناس يحفرون الحفر الكبيرة ويلقون فيها الاموات بعضهم فوق بعض ، حتى اذا امتلأت الحفر بالرمم من الرجال والنساء والصغار والكبار أهيل عليهم التراب[٥٩] .

واستمرت ظاهرة الغلاء الى حد انه اكلت الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير ، ثم أكل الناس بعضهم بعضاً "وأكلوا اولادهم والميته"[٦٠]، وفي هذا الصدد أشار المقريزي أن الناس خافوا على أنفسهم فكانت بعض الجماعات تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب ، فإذا مر بهم أحد القوها عليه ، ونشلوه في اسرع وقت وشرحوا لحمه واكلوه[٦١] .وأشار النويري الى تعداد الموتى في العام ٦٩٤ه بلغ سبعمائة الف وخمسمائة وارتفع هذا العدد الى الف شخص يوميا" وبعض الاموات لم يجدوا من يواريهم في قبورهم فاكلتهم الكلاب واكل الاحياء الكلاب"[٦٢] واستفحل امر الغلاء الى ان اضطر الناس الى اكل الجيف والميتات والكلاب والقطط والحمير ولحم البشر، وشهدت مصر هجرة الكثير من الناس الى الشام بسبب الجوع والحرمان[٦٣] .

وهنا يجد الباحث أن مسألة أكل الناس بعضهم البعض كأنهم أكلي لحوم البشر فيها من المبالغة الشيء الكثير والتي لا يستوعبها منطق العقل والدين الاسلامي . وربما هدف من نقل الرواية هو من أجل اكتساب الشهره من خلال وضع رواية غريبة في الحدث .

وأن للطاعون أثر على الحياة الاقتصادية لاسيما وانه يتسبب في خلق ازمات غلاء بحياة الكثير من الناس نتيجة لقلة الاقوات ويتزامن وباء الطاعون مع الفقر نتيجة لتعطل العمل اليومي وأنقطاع اسباب كسبهم ، فتكثر نسبة الوفيات وتنتشر الجثث في الطرقات لعدم وجود من يقوم بدفنها[٦٤] .

وكان للآفات الزراعية أثار سلبية على المنتوجات فتتسبب بفساد الزرع ودمارها مما يؤدي الى ارتفاع أسعار المواد الغذائية ومن هذه الآفات الجراد والديدان والنمل والخنافس والعناكب والذباب وغيرها[٦٥] .

وقد روى النويري عدة حوادث حول ظاهرة الغلاء إذ ذُكر أن امراة كان لها حُلي باعت مايوازي الف دينار بثلاثمائة دينار وأشترت بالمبلغ حنطة ، فنهبت منها في الطريق ، فنهبت مع من نهب ، فحصل لها ماجاء رغيفاً واحداً [٦٦]، وكذلك روى قصة مشابهة ، إذ أن بعض أهل الثراء وقف بباب قصر الخليفة المستنصر وصاح واستصرخ الى أن أحضر بين يدي الخليفة ، فطلب منه أن يعرض حاجته ، فقال له: يامولانا، هذه سبعون قمحة وقفت عليَّ بسبعين ديناراً، كل قمحة بدينار ، في أيامك ، وهو أني أشتريت اردب قمح بسبعين ديناراً ، فنهبت مني فنهبت مع من نهب ، فوقع في يدي هذه[٦٧] .

وكان من اسباب هذا الغلاء وتزايده بمصر هو خلو الاهراء السلطانية[٦٨] من الغلال " وذلك أن السلطان الملك الاشرف كان قد فرق الغلال وأخلى الاهراء منها بالإطلاقات للأمراء وغيرهم حتى نفذَّ مافي الاهراء وقصر النيل بعد ذلك فاحتاج وزير الدولة الى مشتري الغلال للمؤونة والعليق فتزايدت الاسعار بسبب ذلك "[٦٩] .

وفي سنة ٣٨٣ه ظهر الجراد والكماة على جبل المعظم بمصر مالم يعهد مثله فخرج الناس اليه وجعلوا يدخلون القاهرة ومصر في كل يوم ، فبيع الجراد اربعة أرطال بدرهم والكماة سبعة ارطال بدرهم [٧٠] .

يبدو أن الجراد اثر على المحاصيل الزراعية فاضطر الناس الى شراء الجراد لاستخدامه للطعام لان بعض الناس يضطرون الى اكله في حالة انعدام الاقوات.

وفي سنة ٦١٩ه أظهر الملك المعظم أن ببلاد العجم طائر يقال له السّمرمر يأكل الجراد وأنفق الملك المعظم على إحضاره من بلاد العجم ولكن بعد الأنفاق وعندما عاد البكري الذي بعثه الملك المعظم للمفاوضة حول الطائر كان الجراد قد قل بالبلاد[٧١] .

وفي سنة ٧٠٩ه غلت اسعار المواد الغذائية ولاسيما الحبوب بعد ان توقف ماء نهر النيل عن الزيادة فبلغ سعر القمح الى خمسين درهماً ثمن كل اردب [٧٢]، فحدث غلاء على غرار ماحدث في عام ٦٩٥ه فخرجوا الناس برفقة خطباء الجوامع لاداء صلاة الاستسقاء واستسقى الناس بالمصلى بالقرافة الكبرى وزاد نهر النيل الى ستة عشر ذراعاً وزرع الناس فانخفضت الاسعار[٧٣] .

اما أهل العراق وما شهده من أزمات اقتصادية لتفشي ظاهره الغلاء فقد أشار النويري في أحداث سنة ٥٠٢ه زيادة نهر دجلة " زيادة عظيمة انقطعت فيها الطرق وغرقت الغلال الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم في العراق وعدم الخير"[٧٤] .

ومما اشار اليه النويري أن واقع الازمات الاقتصادية كان أخف على اهل العراق لم يصل بهم الامر الى بيع الاولاد وأكل الميته[٧٥] كما حدث في مصر بسبب كثرة خيرات العراق ،باستثناء الموصل في سنة ٧١٨ه كان الغلاء وبيع الاولاد فيها حتى خلت الدور من اهلها بعد أن باعوا كل عزيز ونفيس وأكلوا الميته وأن بعض أهلها باع ولده باثنى عشر درهما[٧٦] وكانوا لايشترون اولاد المسلمين تأثما فكانت المراة تصرخ بانها نصرانية ليشترى منها ولدها لتنتفع من ثمنه ولتامن عليه من الهلاك[٧٧] .وان سبب الغلاء قلة الامطار ، ووصف النويري حالة العراق في سنة ٧١٧ه اذ حكى " أن رجل دخل ثلاثمائة وستين قرية زرع منها ست قرى وخرب باقيها لانقطاع ماء دجلة عنها والنخل اصابه برد وسقط عليه الثلج فأفسد بعضه واضعف بعضه وانقطع المطر "[٧٨] ، لقد بالغ النويري في هذه الرواية أذ كيف يدخل رجل وحده الى ثلاثمائة وستين قريه ويزرع ست قرى وحده بدون مساعدة فهذا أمر غير منطقي . وكذلك ظهور الجراد فافسد المزروعات في سنة ٧١٦ه[٧٩] وهذا مما سبب الى غلاء وارتفاع اسعار المواد الغذائية .وصف النويري احوال العراق في عام ٧١٨ه " أشتد الغلاء وعظم البلاء لقلة الامطار وموت الفلاحين وجلاهم من البلاد لما نالهم من جور التتار وغارات كانت ببلادهم من جهة الشام والاكراد"[٨٠]

وفي سنة ٧٢٥ه زادت دجلة زيادة عظيمة ودخل الماء بغداد وخندقها فوقع بعض سورها وادى الى غرق مدينة بغداد اذ لايستطع الناس الخروج من البلد وانحصروا ولكنهم أجتهدوا في عمل السكور[٨١] وتساوى في العمل الرئيس والمرؤوس والكبير والصغير ونقل التراب حتى الحكام والقضاة في حجورهم وبقيت بغداد

جزيرة في وسط ماء أذ خربت كثير من البساتين والدور واشار النويري الى حجم الخراب الذي عم بغداد بسبب الغرق " قال عشر سنين ما يمكن عمارة ماخرب في الجانب الغربي فأنه غرق أكثره وغلت الاسعار اياماً ، ثم نقص الماء بعد أن أشرف الناس على الهلاك...وماخرب من البيوت بالجانب الغربي خمسة ألاف وستمائة بيت"(٨٢) .

يتضح مما تتقدم أن ارتفاع وانخفاض مناسيب الانهار يرجع الى إهمال مشاريع الري وعدم الاهتمام بالسدود والقناطر لمجابهة خطر الفيضانات أو خزن المياه الزائدة وإخراجها وقت الحاجة لتلافي خطر الجفاف، وكذلك الآفات الزراعية ،وهذا كله يرجع الى اضطراب الأوضاع الداخلية والخارجية للبلاد وبالتالي أدى هذا الإهمال الى ألحاق ضرر كبير بالاقتصاد وتفاقم ظاهرة الغلاء .

سبل معالجة الغلاء

أشار النويري الى الاجراءات التي أتخذتها الدولة من أجل حل أزمة الغلاء أو الحد منها ، فكانت الدولة تتدخل عند وجود أحتكار يؤدي الى غلاء السعر والى تذمر الناس الذي يهدد بالاضطرابات والفتن فضلاً عن الظواهر الطبيعية كارتفاع وانخفاض مناسيب الانهار أو أنحباس الامطار والفيضانات وغيرها .

ففي عام ١٨ه عند أنحباس المطر في الجزيرة العربية أصاب المسلمين مجاعة شديدة وجدب وقحط وهو عام الرمادة ، فقام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بنجده عماله على الاقاليم ومنها مصر فكتب الى عمرو بن العاص وبعث عمرو بن العاص قوافل كبيرة تحمل المواد الغذائية وعندما وصلت قام الخليفة بتوزيعها على أهل المدينة فخصص الى أهل كل بيت بالمدينة وماحولها بعيراً بما يحمل من الطعام فكلف عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص (ﷺ) بتوزيعها على الناس " فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر "(٨٣).

لم يكن أحتكار البضائع على التجار فحسب وانما من قبل الوزراء والامراء فكانوا يحتكرون الاقوات ويخزنونها دون عرضها في الاسواق مما يؤدي الى ارتفاع اسعارها للحصول على ارباح مضاعفة ، والاجراءات التي اتخذت ازاء هؤلاء ففي عام ٣٠٧-٣٠٨ه عند احتكار الوزير حامد للغلال وضجر الناس من ارتفاع الأسعار فأمر الخليفة بفسخ الضمان وخفض السعر وطلب من المحتسب أن يسعر بأقل من السعر القديم كما أشرنا سلفاً .

ولجأت الدولة من اجل معالجة الخلل النقدي وتدهور قيمة العملة المحلية قامت بمراقبة دور الضرب، ونوعية النقود المسكوكة وجودتها، وظهرت هذه في القرن الرابع الهجري ففي سنة (٣٦٦هـ) ورد كتاب من الخليفة المطيع إلى الأمير ناصر الدولة الحمداني "والى ولاّة العيار بتصفية عين الدراهم والدينار من كل خبث وتخليصها من كل غش وضربها على "الأمام" أي أحسن الدراهم وزناً الذي يضرب عليه العين والورق بمدينة السلام، ومنع التجار الذين يوردون الذهب والفضة إلى دور الضرب من تجاوز ذلك وتعديه وعقوبة من يخالف بما يوجب جرمه ويقتضيه"(٨٤).

وكثيراً ما كانت الدولة عند قيامها بالتسعير تستشير أهل الرأي والبصيرة في ذلك فذكر النويري بخصوص التسعير " لا يجوز أن يسعر على الناس الأقوات في رخص ولا غلاء، وأجاز مالك رحمه الله في الأقوات مع الغلاء"[٨٥] فاذا اراد الامام مثلاً أن يسعر شيئاً جمع اهل ذلك السوق وسألهم عن السعر الذي يشترون ويبيعون به وذلك حلاً لازمة الغلاء وحفاظاً على توفير القوت للناس[٨٦] .

ولعرض توازن عملتي العرض والطلب فاصدر جوهر الصقلي[٨٧] في عام ٣٥٨ه عدة قرارات ومنها تحديد اسواق بيع الغلال وخصص مكاناً معيناً جمع فيه تجار الغلال وسماسرتها وأصدر اوامره ان لاتباع الغلال الا في المكان المخصص ، وجعل له طريقاً واحداً فقط للدخول والخروج ، فكان لايخرج منه قدح من القمح الا والمحتسب له علماً به " ومن عنده قمح فليخرجه ، وفرق الصدقات على الناس "[٨٨] .

وعندما وصلت الانباء الى الخليفة الفاطمي المعز بفتح مصر وسيطرة القائد جوهر الصقلي على البلاد المصرية ، أسرع بارسال امدادات غذائية عن طريق السفن المحملة بالحبوب وهذا مما ادى بدوره الى تخفيف وطأة وشدة الازمة الاقتصادية الخانقة التي حدثت بمصر رغم ذلك كله استمرت حتى عام ٣٦٠ه وانتهت عام ٣٦١ه عندما ارتفعت مناسيب النهر اخصبت الارض بغلالها وهذا ادى بدوره الى كثرة الغلال المنتجة وكان سبباً رئيساً في انخفاض اسعار الغلات الزراعية وحل الرخاء [٨٩].

وفي عهد الخليفة الظاهر وتحديداً عام (٤٢٦ه) أنخفض منسوب النيل، وكان الطبيعي أن تنتشر الحشرات والفأران على ما تبقى من الحاصلات فأصاب الفلاحين الضرر مما حدا بالخليفة تقديم معوقات مادية للفلاحين ففرق بينهم الأموال لغرض تعويضهم عما أصابهم [٩٠].

ففي سنة ٤٦٥ه عند حدوث الشدة العظمى وارتفاع الاسعار في عهد الخليفة المستنصر قام الخليفة باستدعاء بدرالدين الجمالي والي عكا لمساعدته في وضع حلول مناسبة لماعرف عنه من حسن ادارة فدخل الجمالي الى مصر سنة ٤٦٦ه وقد استطاع فور دخوله واستقراره في مصر من مراسلة التجار خارج مصر من الحضور فيها فاخذت القوافل الى البلاد من كل حد وصوب وبذلك انخفض مستوى الازمة لتتلاشى حدتها [٩١] ، ومما لاشك فيه ان مهمة انقاذ البلاد من هذه المآسي تحتاج الى قوة عسكرية قادرة على فرض النظام وأنهاء حالة الفوضى ، وهذه القوة ينبغي أن تتمتع بالمهابة والقدرة ، وقد تمثلت ببدر الجمالي . ومن هنا نفهم دوافع دعوة المستنصر بالله لبدر الجمالي وإستجابة الاخير لها ، ولو بشروط . فقد رأى فيها الخليفة محاولة أخيرة لانقاذ البلاد من المأزق الذي وقعت فيه وإعادة الهيبة للدولة ،أما بدر الجمالي فقد وجد في الاستجابة لطلب المستنصر فرصة ذهبية يحقق من خلالها طموحه في تبوّء مراكز عليا في الدولة [٩٢].

ومن الاجراءات الاخرى التي اتخذتها الدولة هي تسعير الاقوات والزام بيعها في اوقات الازمات ففي عام ٦٢٧ه " سعر الملك الكامل القمح بعشرين درهماً ورقاً الاردب وأمر مستخدمي الاهراء السلطانية ببيع القمح بخمسة وعشرين درهما ومنع الناس من شراء الكثير من الا المئونه" [٩٣].

وفي سنة ٦٦٢ه عندما غلت الاسعار بمصر هبوط النيل عن الحد المطلوب حيث توقفت زيادة النيل، وأدى ذلك الى أرتفاع اسعار الغلال وقلة الخبز في الاسواق، واستمرت الاسعار في الزيادة حتى دخلت السنة الجديدة بمحاصيلها الجديدة وهبطت الاسعار وأنتهت الازمة ، وأستطاع الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦ه) أحتواء الازمة حيث أمر بجمع الفقراء وفرقهم على الامراء، أخذ لنفسه منهم جانباً ، وأضاف لوالده الملك السعيد جانباً، وأمر أن يعطى كل فقير ما يكفيه لمدة ثلاثة شهور ويسلم نواب الامراء والاكابر والتجار الفقراء ثم قال السلطان "هؤلاء الفقراء جمعناهم في هذا اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعطي كل منهم نصف درهم يتقون به خبزاً ومن غد يتقرر الحال "لم يبقى أحد من الخواص والحواشي وارباب المناصب وغيرهم الا أخذ جماعة فانحطت الاسعار لذلك وكثر الخبز[٩٤] .

وجد الباحث من خلال تصفح كتاب النويري أن الاجراءات في حل ظاهرة الغلاء في العراق تختلف عما في مصر وذلك بسبب سوء الاوضاع السياسية في العراق والتي سلبت من الخليفة أمور الحل والعقد ومايصدر من قرارات من الحكام والامراء كان حسب منفعتهم أو تضررهم من هذه الحالة بذاتها ولايهمهم ما يعانيه ابناء العراق عامة لذا لم نجد حلول مستفيضة في العراق لهذه الظاهرة .

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث أن المصادر التاريخية ولاسيما النويري كونه من المؤرخين الذين أسهبوا في ذكر ظاهرة الغلاء والتي لا تخلوا من مبالغة واضحة قد دونوا ذلك بدافع أما نقمة سياسية أو دينية. وان ظاهرة الغلاء هي احدى الظواهر التي اصابت العراق ومصر بسبب الكوارث الطبيعية المتمثلة بنقصان او زيادة منسوب الانهار في كل سنة ، ولم يجد من يزرع الاراضي، وعوامل طبيعية مختلفة كانتشار الاوبئة والامراض وغيرها . فضلاً عن الصراعات والنزاعات العسكرية كالفتن والحروب وكثرة البذخ والإسراف والثراء غير المشروع لبعض الوزراء والكتاب ،فضلا عن فترة الفوضى السياسية التي كان لها أثرها السيئ على ميزانية الدولة، وخاصة عند خلع الخلفاء والوزراء ورجال الدولة الكبار، ومبايعة خليفة جديد، فالجند يستغلون هذا الاضطراب السياسي فيقومون بأعمال نهب للأموال الخلفاء والوزراء وذخائرهم من الجواهر والفضة والأواني الفضية والذهبية والتحف والذخائر الثمينة .فعكست ظاهرة الغلاء أثرا ليس على الناحية الاقتصادية فحسب وأنما على الناحية الاجتماعية والسياسية أيضاً. فاضطرت الدولة في سبيل تأمين الأموال اللازمة لها للأنفاق فقامت بعدة إجراءات منها تقليص النفقات وضرب النقود لتأمين السيولة النقدية ومصادره أموال الوزراء والكتاب الذين يتم خلعهم بل وحتى أموال قسم من الخلفاء، وإقتراض الأموال من التجار على أن تسدد لهم الأموال حال تحسن مالية الدولة.

الهوامش

(١) النويري، نهاية الارب في فنون الادب ،ج١،ص٤١٦. الزركلي ، الاعلام ،ج١،ص١٦٥.

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٧ ،ص١٠٩.

(٣) ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٧٣.

(٤) قوص:مدينة كبيرة عظيمة واسعة،وهي قصبة صعيد مصر،ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع ، ج٣،ص١١٣٣.

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص٦٧.

(٦) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٧، ص١٠٩.

(٧) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٧، ص١٠٩.

(٨) ابن عبادة : لم نجد له ترجمة .

(٩) الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستطرف ،ص٣ مقدمة الكتاب .

(١٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤،ص١٨٩-١٩٠. حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج٢، ص١٩٨٥.

(١١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٩،ص٣٩٩.

(١٢) النويري، نهاية الارب، ج١، ص٤١٦.الندوي، منهج النويري ، ص٣٣.

(١٣) النويري، نهاية الارب، ج١ ، ص٤١٦.

(١٤) الادفوي ، الطالع السعيد، ص٤٦.

(١٥) الندوي، منهج النويري ، ص٨١.

(١٦) الندوي ، منهج النويري، ص٨١.

(١٧) نهاية الارب ، ج٢٣،ص٥٦.

(١٨) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص٥٦.

(١٩) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص٥٦.

(٢٠) الكر : يعادل الكر حالياً ٢٩٢٥كغم .هنتس ،فالتر ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص٦٩.

(٢١) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص٥٦. ينظر : ابن الجوزي ،المنتظم ،ج١٣ ،ص١٩٤. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج ٦،ص٦٣٣.

(٢٢) سعد ، فهمي عبدالرزاق ، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،(بغداد-٢٠١٣)،ص١٨٦.

(٢٣) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص١٦٢.

(٢٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ ،ص٨ .

(٢٥) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص١٧٨.

(٢٦) النويري، نهاية الارب ،ج٢٦،ص١٨٦.

(٢٧) مسكويه ، تجارب الامم، ج٢،ص٩٠-٩١.

(٢٨) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٦،ص١٨٦.

(٢٩) مسكويه ، تجارب الامم، ج٢،ص٩٠-٩١.

(٣٠)عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٢٤٨.

(٣١) إغاثة الأمة، ص ٦٢.

(٣٢) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٦،ص٢٠٣.

(٣٣) الكاره:يساوي الكاره قفيزين، وكانت كاره القمح تساوي ٢٤٠ رطلاً =٩٧،٥ كغم أي حوالي (١٢٠) لتر. هنتس ، المكاييل والاوزان ، ص٦٩.

(٣٤) الكر: يساوي ٢٨٨٠ كغم قمحاً في العراق. هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٩.

(٣٥) النويري ، نهاية الارب ،ج٢٣،ص٢١٠.

(٣٦) الكامل في التاريخ ،ج٨،ص١٤٥.

(٣٧)النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص٢٢٢.

(٣٨) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص٢٢٢.

(٣٩) االنويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص٢٦٨

(٤٠) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٧،ص٥١.

(٤١) كافور الاخشيدي :هو كافور بن عبدالله الاخشيدي ولد سنة ٢٩٢ه ،كان عبدا اسود حبشياً قدم الى مصر وله من العمر عشر سنوات في سنة ٣١٠ه واعتقه الاخشيدي ملك مصر ثم اصبح في خدمة الامير ابي بكر محمد بن طغج الاخشيد فعظمه عنده منزلته وعين من قبل الخليفة المطيع على الحرب والخراج "وجميع امور مصر والشام والحرمين" فلم يبدل لقبه فخاطبه رجال الدولة بالاستاذ ثم حصل من الخليفة المطيع كتاباً بتقليده بعد علي بن الاخشيد وتوفي سنة ٣٥٧ه .المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١،ص٣٣٠.

(٤٢) النويري ، نهاية الارب ،ج٢٨،ص٦٠.

(٤٣) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر عن قضاة مصر ،ج١،ص١٩٩-٢٠١.

(٤٤) سالم ، تاريخ مصر الاسلامية ، ص١٩٧ .الطنطاوي ، تاريخ العصور الوسطى ،ص١٥٣.

(٤٥) النويري، نهاية الأرب ، ج٢٨،ص٢٣٤

(٤٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٨،ص٢٣٤.

(٤٧) ابن أياس ، بدائع الزهور ، ج١،ص٦١.

(٤٨) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٨،ص٢٣٣.

(٤٩) ابن ميسر ،أخبار مصر ، ص٣٤.

(٥٠) القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ،ج٢،ص٨١٧.

(٥١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥،ص١٦.

(٥٢) المقريزي ، إتعاظ الحنفا ،ج٢،ص٢٩٧.

(٥٣) النويري ، نهاية الارب ، ج١ ، ص٢٦٤.

(٥٤) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١،ص٦٠.

(٥٥) النويري ، نهاية الارب ، ج١،ص٢٦٤.

(٥٦) النويري ، نهاية الارب ،ج٢٨،ص٦٠.

(٥٧) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص١٨٧.

(٥٨) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٨،ص٢٣٣.

(٥٩) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج٢، ص٢٩٧-٣٠٠.

(٦٠) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٩،ص١٣.

(٦١) المقريزي ، أغاثة الامة ،ص٥٩.

(٦٢) النويري ، نهاية الارب ، ج٣١ ، ص٢٩٤.

(٦٣) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٩، ص١٣.المقريزي ، إغاثة الامة ، ص٣٣.

(٦٤) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٩، ص٨٢. المقريزي ، أغاثة الامة ، ص٧٦-٧٧. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢ ،ص٢٩١-٢٩٢.

(٦٥) النويري ،نهاية الارب ،ج٨،ص٢٦٧.

(٦٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٨،ص ٢٣٤.

(٦٧) النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٨ ،ص٢٣٤.

(٦٨) الاهراءالسلطانية : يوضع بها مايخزن من الغلال المتنوعة لاتفتح الا عند الضرورة وتفتح الاهراء في كل حين ويصرف منها مايقتضي صرفه . ابن شاهين ،، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص١٢٢-١٢٣.

(٦٩) النويري ، نهاية الارب ، ج٣١ ، ص٢٩٤.

(٧٠) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٨،ص١٦٢.

(٧١) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٩،ص١١٩-١٢٠.

(٧٢) النويري ، نهاية الارب ،ج٣٢، ص٣٢،ص١٤٥.

(٧٣) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢، ص١٤٥.

(٧٤) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣،ص٢٥٨.

(٧٥) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢،ص٢٩٢.

(٧٦) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢،ص٢٩٢.

(٧٧) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢،ص٢٩٢. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٨،ص١٧٥.

(٧٨) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢،ص٢٩٣.

(٧٩) النويري ،نهاية الارب ، ج٢٩،ص٨٢.

(٨٠) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢،ص٢٦٩.

(٨١) السكور: يقال سكر النهر ونحوه سده وحبسه والسكر مايسد به النهر والجمع سكور .النويري ، نهاية الارب ، ج٣٣،ص١٩٦.

(٨٢) نهاية الارب ،٣٣،ص١٩٦. سوسه ، فيضانات بغداد ، ص٣٥٥.

(٨٣) النويري ، نهاية الارب ، ج١٩ ، ص٣٥١.

(٨٤) الصابي، رسائل الصابي، ص ١٤١ ؛ عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٢٤٨.

(٨٥) النويري ، نهاية الارب ، ج٦،ص٢١٢.

(٨٦) صباح الشيخلي ، الأصناف ، ص١٥٣.

(٨٧) جوهر الصقلي : جوهر بن عبد الله الرومي، باني مدينة (القاهرة) والجامع (الأزهر) كان من موالي المعز العبيدي (صاحب إفريقية) وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨ هـ وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها. ومكث بها حاكما مطلقا إلى أن قدم مولاه المعز (سنة ٣٦٢ هـ فحلّ المعز محله، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي، بالقاهرة سنة (٣٨١ه) . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١،ص١١٨.

(٨٨) النويري ، نهاية الارب ج٢٨، ص١٣٠ .المقريزي ،اتعاظ الحنفا ، ج١ ،ص١٢٠.

(٨٩) المقريزي ، السلوك ، ج٢، ص٣٠٠ .

(٩٠) النويري: نهاية الأرب،ج٢٨، ص٢٦٧ .

(٩١) النويري ، نهاية الارب ،ج٢٨ ،ص٢٣٤. ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج٢،ص٣٦-٥٨.

(٩٢) دخيل ، الدولة الفاطمية ،ص٧٣.

(٩٣) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٩، ص١٦١.

(٩٤) النويري ، نهاية الارب ، ج٣٠ ،ص٩٦.

قائمة المصادر والمراجع

١-الابشيهي ، بهاء الدين ابو الفتح محمد بن احمد بن منصور(ت٨٥٤ه) المستطرف في كل فن مستطرف ،ط٣، دار صادر ،(بيروت-٢٠٠٧).

٢-ابن الاثير ،عزالدين علي بن محمد (ت٦٣٠ه)، الكامل في التاريخ، دار صادر ، (بيروت-١٩٦٧).

٣-الادفوي ، ابو الفضل جمال الدين جعفر بن مغلب(ت ٧٤٨ه)،الطالع السعيد الجامع أسماء أنحاء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (مصر:١٩٩٦م)

٤-ابن أياس،محمد بن أحمد(ت٩٣٠ه)،بدائع الزهورفي وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة ،(القاهرة-١٩٧٢)

٥-ابن تغري بردي ،جمال الدين أبو العباس(ت٨٧٤ه)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق أحمد يوسف (القاهرة -١٩٥٦).

٦-ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن محمد (ت٥٩٧ه)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا وآخرون ، دار الكتب العلمية ،(بيروت-١٩٩٢) .

٧-حاجي خليفة .كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، (بيروت-د.ت).

٨-ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢ه) ، رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبدالمجيد وآخرون ، الادارة العامة للثقافة ، وزارة التربية والتعليم ،(القاهرة -١٩٦١).

٩-دخيل ، محمد حسن ،الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للاسرة الجمالية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت -٢٠٠٩) .

١٠- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، دار العلم للملايين ،ط٥، (د.م- ٢٠٠٢).

١١-سالم ، عبدالعزيز ،تاريخ مصر الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسةشباب الجامعة ،(الاسكندرية- د.ت).

١٢-السخاوي ،شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢ه) ،الضوء اللامع لاهل القرن التاسع (القاهره-١٣٥٤ه).

١٣-سعد ، فهمي عبدالرزاق ، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،(بغداد-٢٠١٣).

١٤-سوسه ، أحمد.فيضانات بغداد في التاريخ ،مطبعة الاديب ، (بغداد- ١٩٦٣) .

١٥-ابن شاهين ،غرس الدين خليل الظاهري ،(ت٨٧٣هـ) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ،١٨٩٣م

١٦-الطنطاوي ،أحمد صادق ، تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب ، دار الطباعة الاهلية ،ط٢، (القاهره-١٩٦٦) .

١٧-ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد الرحمن البغدادي (ت٧٣٩هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٩٥٥.

١٨-عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن ارابع الهجري ،ط٢،دار المشرق،(بيروت-١٩٧٤).

١٩-القلقشندي ،شهاب الدين ابو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ،ط٢، (الكويت-١٩٨٥).

٢٠-ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ه)، البداية والنهاية ، تحقيق علي شير ، ط١، (بيروت-١٩٨٨).

٢١-مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تجارب الامم، (ليدن ، بريل ، ١٩١٣م).

٢٢-المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥ه)،أغاثة الامة بكشف الغمه ، مؤسسة ناصر للثقافة ،(بيروت -١٩٨٠) .

٢٣- المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة المثنى ،(بغداد-١٩٧٠)

٢٤-ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن يوسف بن حبيب (ت٦٧٧ه) ،إخبار مصر(المنتقى من إخبار مصر) اعتنى بتصحيحه، هزي ماسية، (القاهرة: ١٩١٩م) .

٢٥-النويري،احمدعبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم(ت٧٣٣ه) .نهاية الارب في فنون الادب ،دار الكتب والوثائق القومية ،(القاهرة -١٤٢٣ه).

٢٦-هنتس ،فالتر ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ،(عمان-١٩٧٠).

٢٧-ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ) ،معجم البلدان، ، دار صادر ،(بيروت ، ١٩٧٧م).